الباب السادس

الحج في الفكر الجغرافي الإسلامي والعالمي

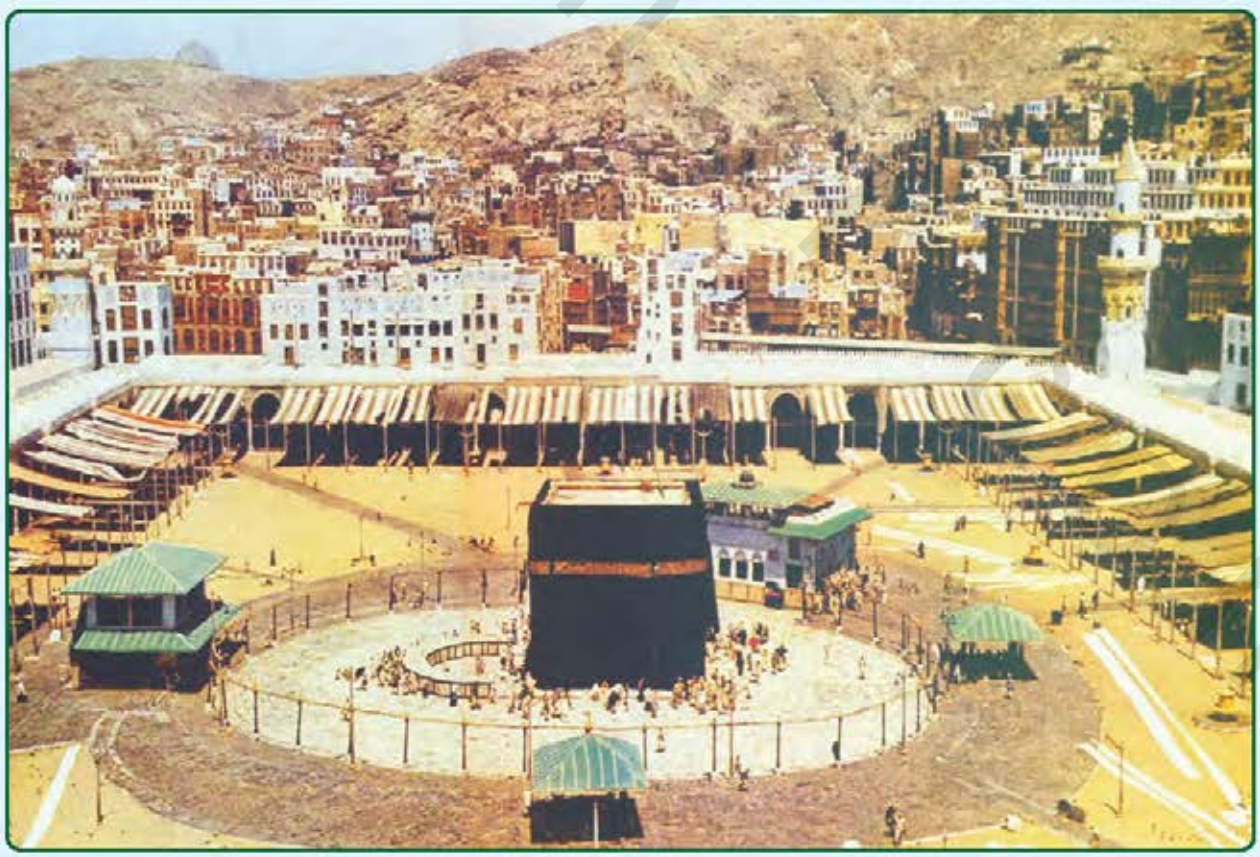

الحج في التراث الجغرافي الإسلامي و العالمي

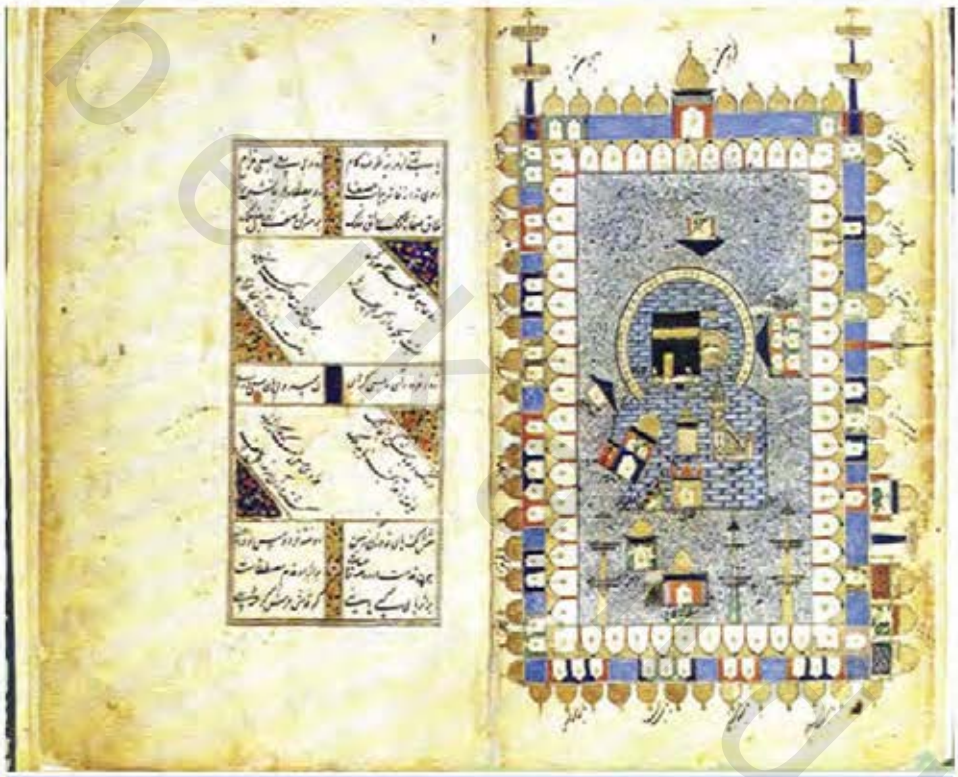

مرسوم من دليل مكة والمدينة نسخة بخط المؤلف « غلام علي » جمادى الأخرة سنة ٩٩٠ هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ٧٠ .

مع فريضة الحج التي أوجبها الله - تعالى - على كل مسلم لمن استطاع إليه سبيلاً، تحولت مكة المكرمة - شرفها الله - إلى أكبر، وأعظم مكان، ومركز في العالم يجتمع فيه الناس.

وهذا الاجتماع الذي يتحقق في الحج بهذا العدد الكمّي من الناس، وبهذا التنوع الإنساني الفريد، ليس له مثيل في تاريخ الأمم، والحضارات السابقة، والمعاصرة !

ونظراً لتشوق الناس لهذا المكان المقدس؛ فقد استمر الاهتمام بأدب الرحلات عن الحج، وهو من أوسع أبواب المعرفة، عبر مختلف العصور، والحقب التاريخية، بسبب طابعها الأدبي الملتزم. حيث تعتبر **رحلة الحج** أنفس رحلات العمر، وأن الحاجّ من وقت خروجه من منزله؛ لأداء فريضة الحجّ وهو يعيش فترةً خالصةً لله، خاليةً من مشاغل الدنيا، يعيشها بوجدانه، ومشاعره، وكيانه كله، بقلبه، وعقله، وجسده، وماله، وكل ما يملك، وتتجسد من خلال هذه الرحلة، معاني التلاحم الحقيقية بين أبناء الإسلام، وتفيض المشاعر، وتتزاحم الأحاسيس في النفس المسلمة، فتصبح رقراقة بالروحانية.

لذلك يحرص بعض المسلمين على استرجاع ذكرياتهم الطيبة في هذه الديار المقدسة، كلٌ حسب طريقته، ويبرز الجغرافيون المسلمون الذين حاولوا جاهدين في هذا الصدد من خلال التعريف بموقع مكة عبر خرائطهم، أو مرتسماتهم، أو نصوصهم؛ لنقلها عبر مصنفاتهم العلمية إلى أقاليمهم التي جاءوا منها؛ لتكون حاضرة اللحظة متى ما قلبوا صفحات ما دونوه عن الحج ورحلته، والبيت وقصته، والمسجد النبوي وزيارته.

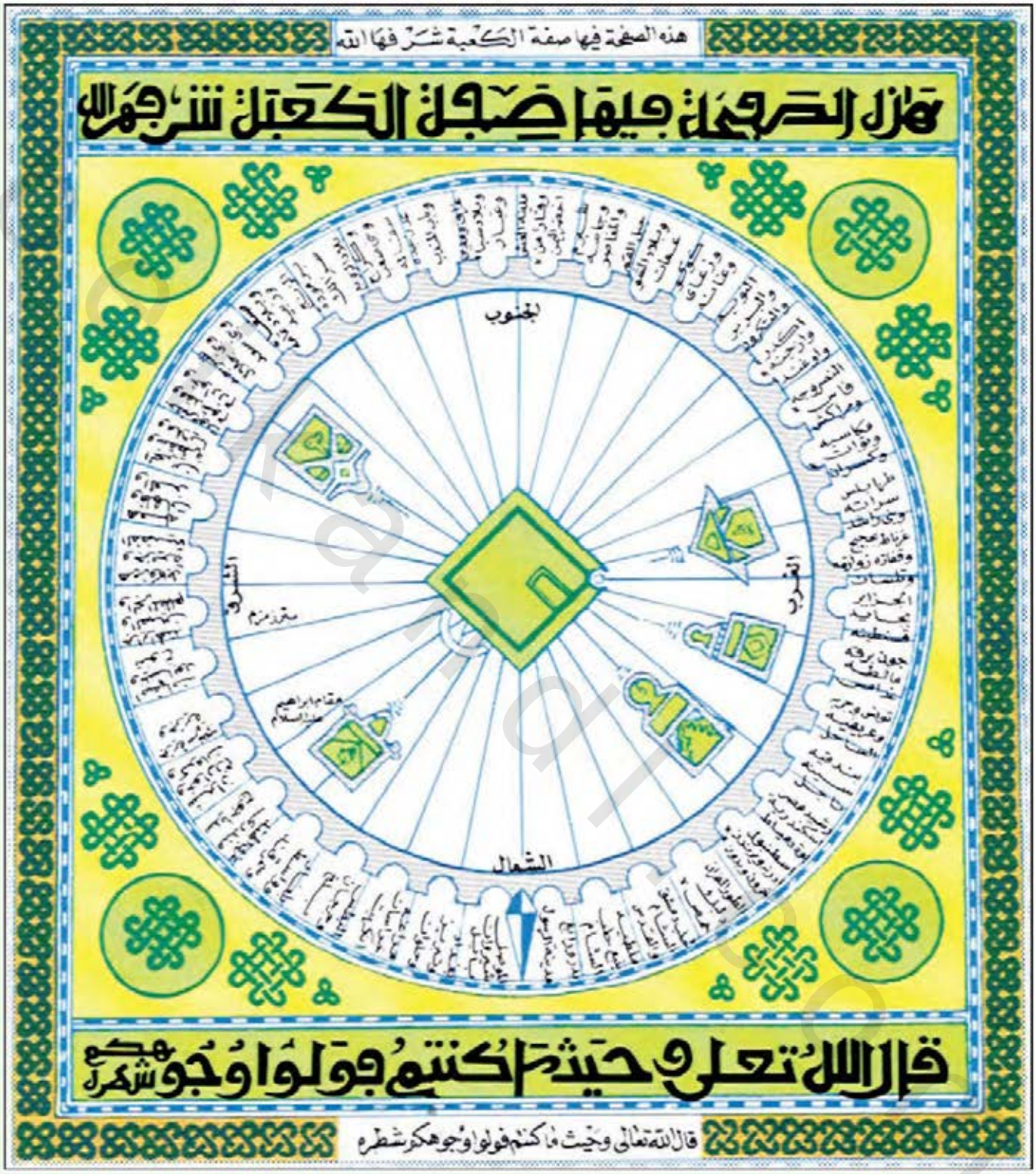

صورة البلاد الإسلامية بالنسبة إلى **مكة المكرمة** للصفاقسي (المتوفى ٩٥٨ هـ) هي أقرب للاتفاق مع الحسابات الفلكية، والحقائق الجغرافية الحديثة عن الاختلاف، وهو عملٌ علمي بالقياس للخرائط الأوروبية في ذلك الوقت، لا سيما أن أجهزة الرصد الفلكي الحديثة (المناظير الفلكية)، وكذلك الإبرة المغناطيسية لتحديد الشمال، لم تكن متوفرة لهذا العالم المبدع في عصره.

يعتبر هذا المرتسم، أقدم مرتسم مصور للمسجد الحرام عرف حتى الآن، نُقِش في نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وتبدو فيه الأروقة في الجوانب الأربعة، تعلوها سلسلة من العقود، عليها سقف مستو، وفي وسط المرتسم تظهر الكعبة المشرفة، وفيها الحجر الأسود، والباب، ثم الحجر، وكُتِبَ على الكعبة الآية القرآنية « ومن دخله » وظهرت بقية الآية إلى اليسار « كان آمناً » وتبدو إلى يسار الكعبة، قباب زمزم، والعباس، والفراشين، كما يبدو أسفل الكعبة من اليمين، محاريب المقامات، والمنبر، ومقام إبراهيم، وحوله قائمتا باب بني شيبة، ثم المدرج الخاص بالصعود إلى الكعبة المشرفة، وتبدو ثلاث منائر في أطراف الأروقة الداخلية.

مصدر الصورة، الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، د. معراج بن نواب مرزا، و د . عبد الله ابن صالح شاووش، إصدار دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

أقدم مرتسم إسلامي معروف للمسجد الحرام حتى الآن ، على لوح من المرمر أبعاده ١٥× ٣٣ سم، بمتحف بغداد، وقد نقل من على جدار « مسجد إبراهيم » الموجود بالموصل ، وقد انكسرت أجزاء من الطرف العلوي الأيسر والأيمن منه .

الصورة المكبَّرة من جزء اللوح الرخامي

مرتسم ملون للمسجد الحرام والبيوت المحيطة به، وهو عبارة عن شبه مجسم ازدانت أطرافه بزخرفة رائعة، رُسِم في إحدى نسخ «كتاب دلائل الخيرات» عام ١٢١٥ هـ (١٨٣٥ م) الموجودة بمكتبة جامعة أسطنبول برقم ٥٥٥٩، تظهر المسجد الحرام تتوسطه الكعبة المشرفة، والحِجْر، وباب بني شيبة، والمقامات، وقبتا العباس، والفراشين، وتبينّ الأروقة بقبابها، إلا أن الرسام أغفل مقام إبراهيم، والمشايات، وقد ظهرت خارج المسجد الحرام عقود الصفا، والمنازل المحيطة، كما ظهر في أعلى الرسم مسجدان، إشارة إلى المشعر الحرام، ونمرة .

مصدر الصورة، الأطلس المصور لمكة المكرمة، والمشاعر المقدسة، د. معراج بن نواب مرزا، ود . عبد الله بن صالح شاويش، إصدار دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

صفحتان من داخل دليل مكة والمدينة؛ نسخة بخط المؤلف « غلام علي» جمادى الآخرة سنة ٩٩٠ هـ. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

يعتبر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، أحد أجهزة مؤسسة الملك فيصل - رحمه الله - الخيرية، له شخصيته الاعتبارية، وميزانيته المستقلة. تأسس في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وفقاً لنص النظام الأساسي للمؤسسة، ومقره في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وجاء إنشاء المركز تحقيقاً لأهداف مؤسسة الملك فيصل الخيرية في خدمة الحضارة الإسلامية، وذلك بالقيام بالبحوث، والدراسات، والأنشطة الثقافية، والعلمية، التي تسهم في إبراز عطاءات هذه الحضارة في الميادين المختلفة، وما أنتجته عقول أبنائها من المفكرين والعلماء؛ لإغناء الحضارة الإنسانية، ودفع عجلة تقدمها، ويتولى الإشراف العام عليه مجلس إدارة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل. وبلغ مجموع مقتنيات المركز من أوعية المعلومات إلى نهاية شهر رجب ١٤٢٨هـ، ٧١٤١٦٢ مادة تتوزع على كتب، ومخطوطات، ووثائق، ولوحات، وصور، وقطع أثرية.

مقامات الحريري - رحلة ، قافلة باتجاه مكة المكرمة - شرفها الله تعالى - رسم الواسطي. بغداد ١٢٣٧ باريس ٥٨٤٧ - ٩ . م . ص ؛ د . عفيف البهنسي، الفن الإسلامي، ص ٤٨٩

خريطة بلاد العرب حفرت على النحاس في سنة ١٧٤٠ م، بباريس، ومقاسها ٣٤ × ٢٨ سم

تحتوي هذه الخريطة على معلومات عن الجزيرة العربية، فيها الكثير من الأخطاء في الظاهرات الطبيعية، وفي مواقع بعض المدن. وهناك **مخطط للمسجد الحرام** في مكة المكرمة - شرفها الله تعالى - وضع في الركن الأسفل الأيسر، وقد أخذ من رسم في مكتبة البولديان بأكسفورد، وتُظهِر الخريطة تقسيمات إقليمية حديثة، تشمل: الحجاز، وتهامة في غربي الجزيرة العربية، واليمامة، ونجد في وسطها، والبحرين، وعُمان في الشرق، ومهرة، والشحر، وحضرموت، واليمن في الجنوب، وامتلأ الربع الخالي برموز المرتفعات الجبلية، وسميت مرتفعات حائل المشهورة: أجا وسلمى، ويلاحظ وضع حِجر إلى الجنوب بعيداً عن موقعها الحقيقي، وكذلك اليمامة التي وضعت إلى الشمال منها. ومن المواقع النادرة التي احتوتها الخريطة تذكر الحديبية بالقرب من مكة، وعرفات، وبدر، وتاروت على ساحل الخليج العربي، وتحتوي الخريطة على إطار مُزيَّن للعنوان في الركن الأعلى الأيمن. م . خ ، د . خالد العنقري، الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، ص ٢٢٩ .

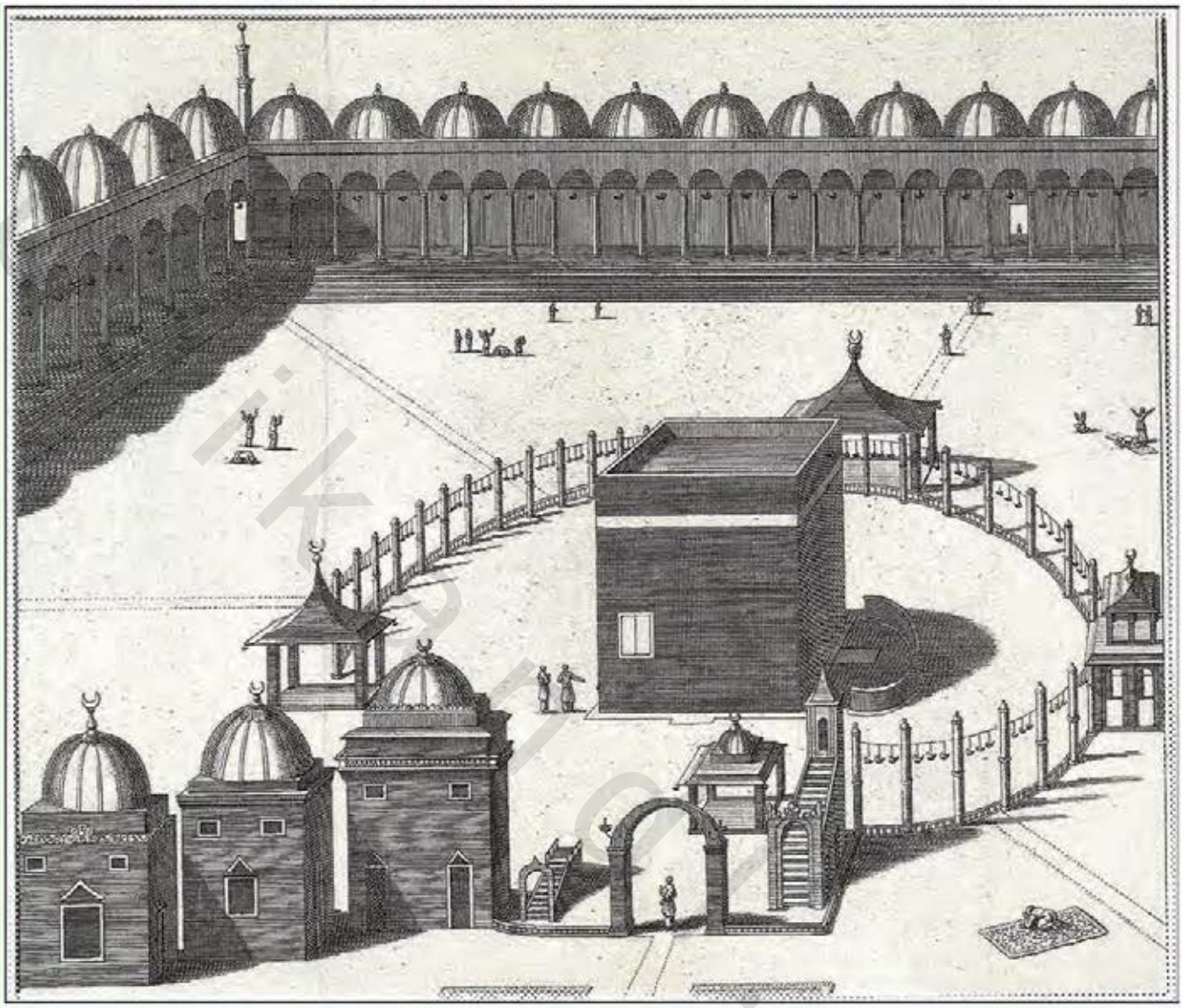

مرتسم محفور على النحاس للكعبة المشرفة سنة ١٧٣٢ م لإسحاق تيريون الهولندي (١٧٠٥ - ١٧٦٥ م)

مرتسم للكعبة المشرفة، وبعض المباني المحيطة بها، محفورة على النحاس بمقياس ١٦,٦ × ١٩,٦ سم، ويظهر في المرتسم عدد قليل من المصلين ، ويلاحظ في هذه اللوحة الدقة المتناهية في رسم الكعبة المشرفة وتفاصيلها، حيث يظهر بابها، والحجر الأسود، والحِجر؛ مطابقة إلى حد ما مع الواقع ، ويمكن قول الشيء نفسه عن المصابيح التي تحيط بالكعبة المشرفة، ومقام إبراهيم، ومبنى زمزم، وبقية العناصر المجاورة، وفي الطرف الأعلى من الصورة يظهر الجانب الغربي، والجنوبي من التوسعة العثمانية لقبابها، وأعمدتها، ومصابيحها، كما تظهر إحدى المنارات في الركن الجنوبي الغربي، وإن كانت تبدو أضعف العناصر المعمارية من حيث دقة الرسم. م . خ ، د . خالد العنقري، الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، ص ٣٢٠ .

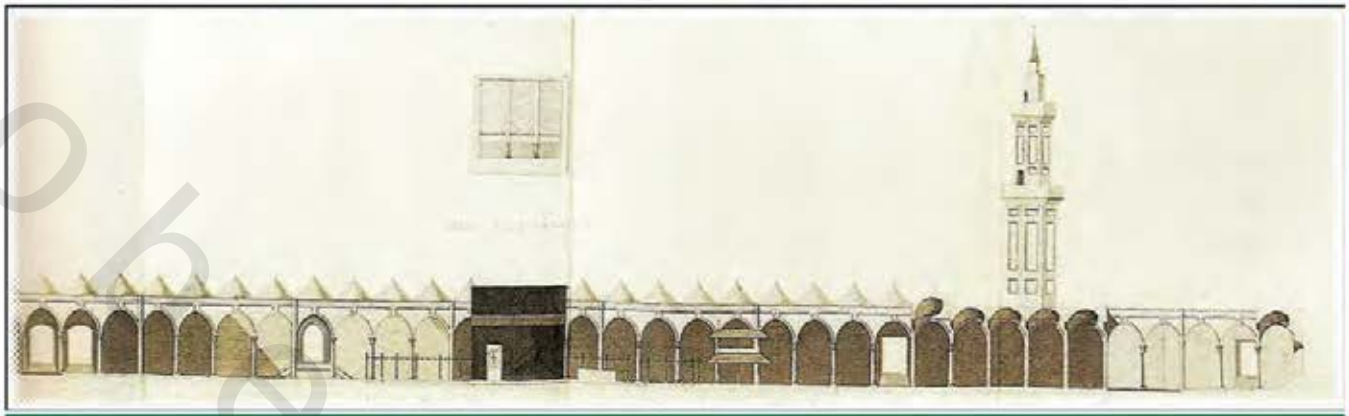

مرتسم محفور على النحاس للقسم الغربي من المسجد الحرام سنة ١٨١٤ م، قام بعملها الأسباني باديا ليبليخ، دوميتجو

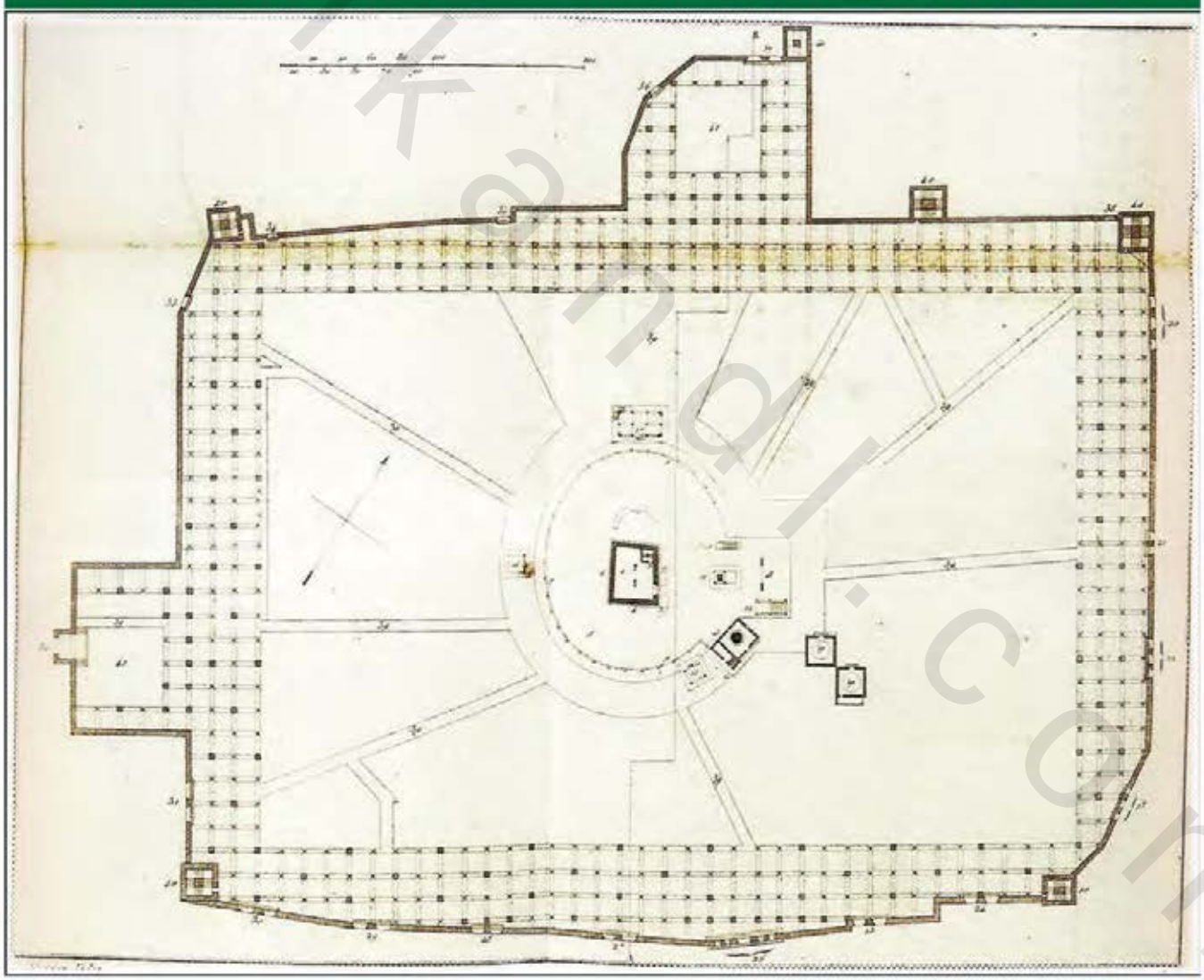

خريطة للكارتوجرافي الأسباني السابق؛ محفورة على النحاس/ مقاس ٢٦,٣ × ٦ ,٣٣ سم، حيث تمثل هذه الخريطة حدود المسجد الحرام مع الإشارة إلى أهم عناصره، فيظهر موقع الكعبة وسط المرتسم؛ إضافة غلى المباني الصغيرة المحيطة بها . م .خ ، د . خالد المنقري، الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، ص ٤١٢ .

obeikandl.com

١

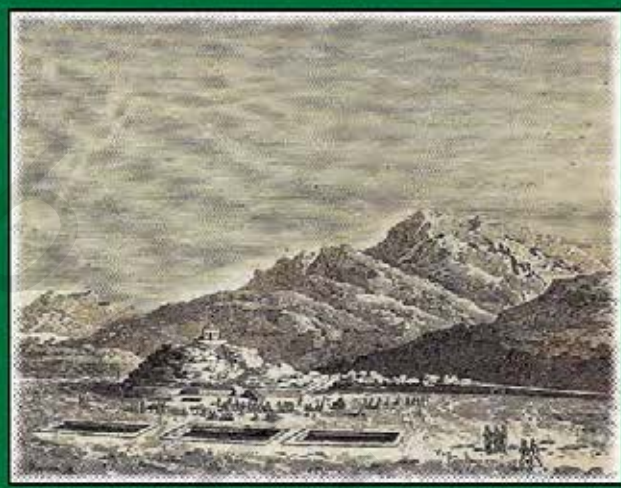

٢

مرتسم محفور على النحاس للمشاعر المقدسة سنة ١٨١٤ م، قام بعملها الأسباني باديا ليبليخ، دومينجو « علي بك العباسي » .

أربع لوحات للأماكن التي يقف بها الحجاج المسلمون في المشاعر المقدسة أيام الحج، وهذه الأماكن هي: (اللوحتان رقم ١ ، ٢ لمِنى) و (اللوحة الثالثة: مُزْدَلفة) و (اللوحة الرابعة: عرفات) قام بعملها الرحالة الأسباني باديا ليبليخ، الذي ادعى اعتناق الإسلام، واتخذ اسم علي بك العباسي، وأدى مناسك الحج . م . ص . د . خالد العنقري، الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، ص ٤١١ .

٣

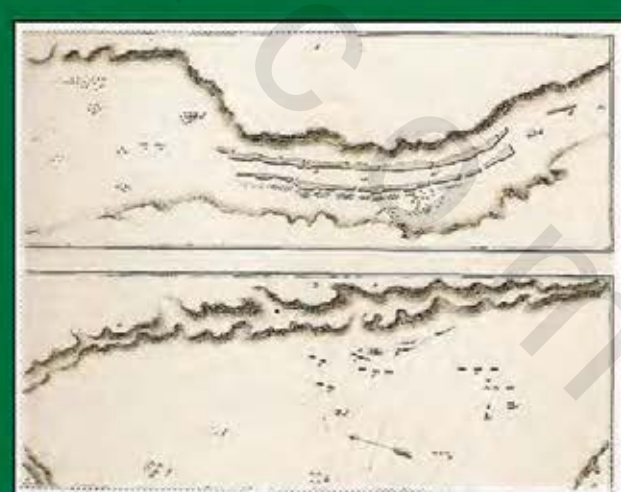

٤